المحاضرة الخامسة

النقد في كتاب الغربال

لميخائيل نعيمة

ولد ميخائيل نعيمة سنة 1889 في لبنان. أنهى دراسته المدرسية في مدرسة الجمعية الفلسطينية فيها، تبعها بخمس سنوات جامعية في بولتافيا الأوكرانية بين عامي 1905 و 1911 حيث تسنّى له الاضطلاع على مؤلّفات الأدب الروسي، ثم اكمل دراسة الحقوق في الولايات المتحدة الأمريكية (منذ 1911) وحصل على الجنسية الأمريكية. انضم إلى الرابطة القلمية التي أسسها أدباء عرب في المهجر وكان نائبا لجبران خليل جبران فيها. عاد إلى لبنان عام 1932 واتسع نشاطه الأدبي. لقّب ب"ناسك الشخروب"، وتعود جذور ميخائل نعيمه إلى بلدة النعيمة في محافظة اربد في المملكة الاردنية الهاشميه وهذا ما ذكره ميخائيل نعيمه في حوار مع الكاتب الاردني والمؤرخ روكس بن زائد العزيزي وتوفي سنة 1988.

يعد كتاب الغربال كتابا مهما في النقد العربي الحديث، وهو عبارة عن مجموعة مقالات نقدية نشرها نعيمة في الصحف أو كتبها كمقدمات لبعض مؤلفاته[1].

يضم كتاب الغربال إحدى وعشرين مقالة منها ما خصصه للهجوم العنيف على الأدب العربي التقليدي والتزمت، والتحجر اللغوي مثل مقالي " الحُباحب*" و"نقيق الضفادع" ثم على العروض التقليدي في مقال "الزحافات والعلل"[2].

---

[1] النقد والنقاد المعاصرون: محمد مندور، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص20.

* الحباحب: حُباحِب : ذباب يطير بالليل، كأنه نار، له شعاع، نارُ الحُباحِب: النار الناتجة من تصادم الحجارة، وهو رجل بخيل: ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ج9، ص 784.

[2] المرجع نفسه، ص23.

فقد جاء في مقال "نقيق الضفادع" قوله: « من أكبر الأوهام التي يؤخذ بها ضفادع الأدب وهمَهم أن تسيير الأدب منوط بهم [...]لو تبصر ضفادع اللغة العربية يوما تاريخ لغتهم لوجدوا [...] أن اللغة التي نتفاهم بها اليوم في مجلاتنا وجرائدنا ومن على منابرنا هي غير لغة مَضر و تميم وحِمير وقريش»[3].

فنعيمة يرى أن غاية النقاد المحافظين أن يتوسدوا «القواميس ويتلون عليها صلواتهم ، ويحرقون أمامها بخور قلوبهم، وزيوت أدمغتهم. وكل غايتهم في الحياة أن يقعوا في قصيدة أو مقالة على كلمة أو تركيب لم تألفها أذواقهم ولا رضيت عنها قواميسهم »[4]

لم يسر ميخائيل نعيمة في كتابه على منهج نقدي معين؛ بل كان منهجه تأثريا ذاتيا[5] انطلاقا من إيمانه بأن لكل « ناقد غربالـه، لكل موازينه ومقاييسه. وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا في السماء ولا في الأرض»[6]؛ ومن ثمة يضع خصائص ينبغي أن يتمتع بها الناقد ومنها « الإخلاص في النية، والمحبة لمهنته، والغيرة على موضوعه، ودقة الذوق، ورقة الشعور، وتيقظ الفكر، وما أوتيه بعد ذلك من مقدرة البيان لتنفيذ ما يقوله إلى عقل القارئ وقلبه ».

ويشدد على أن مهنة الناقد ليست نقد الأشخاص بل نقد آثارهم؛ يقول في ذلك :«مهنة الناقد إذن هي غربلة الآثار الأدبية لا غربلة أصحابها»[7]

ثم يقرر أن الدور المنوط بالناقد المبدع هو أن يكتشف في النصوص الأدبية أشياء لم يهتد إليها أحدا، حتى لا يكون عمل النقاد تكرار ما نسجه السابقون.

---

[3] الغربال: ميخائيل نعيمة، دار نوفل، ط1، 1923، ص94-95.
[4] المرجع نفسه، ص97.
[5] النقد والنقاد المعاصرون: محمد مندور، ص 26.
[6] الغربال: ميخائيل نعيمة، ص 16.
[7] الغربال: ميخائيل نعيمة، ص 13.

حدد ميخائيل نعيمة الحاجات الأدبية التي يتطلع إليها كل قارئ إلى أربع[8]:

1. **حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسية من رجاء ويأس وفوز وفشل،وإيمان وشك،وحب وكره وغير ذلك من الانفعالات والتأثيرات.**
2. **حاجتنا إلى نور نهتدي به في الحياة وليس من نور نهتدي به سوى نور الحقيقة، حقيقة ما في نفسنا وحقيقة ما في العالم من حولنا.**
3. **حاجتنا إلى الجميل في كل شيء؛ ففي الروح عطش لا ينطفئ إلى الجمال وكل ما فيه من مظاهر الجمال، فإنا وإن تضاربت أذواقنا في تحديد الجميل والقبيح فإن هناك جمالا مطلقا متفقا عليه.**
4. **حاجتنا إلى الموسيقى؛ ففي الروح ميل عجيب إلى الأصوات والألحان لا ندرك كنهه.**

هاجم نعيمة البحور الخليلية في مقاله الزحافات والعلل، واتهمه بأنه حول الشعر العربي إلى نظم جاف لا ينبض بفكر أو حياة[9].

أما اللغة؛ فقد رفض نعيمة في مقاله " نقيق الضفادع"النقاد المتزمتين في اللغة وقواعدها وعلومها – كما سبقت الإشارة – لأنه يرى أن اللغة مجرد رموز تستعمل للإفصاح عما يختلج في النفس ومن الخير تبسيط تلك الرموز[10].

طبق ميخائيل نعيمة منهجا نقديا تأثريا ذاتيا على عدد من المؤلفات الأدبية المعاصرة شعرا ونثرا متأثرا بالاتجاه التجديدي ورافضا كل الرفض للاتجاه الاحيائي.

---

[8] النقد والنقاد المعاصرون، محمد مندور، ص29-30.
[9] النقد والنقاد المعاصرون: محمد مندور، ص 31.
[10] المرجع نفسه، ص 33.